ملخّص بانوراما الظهور المهدوي - الحلقة 85 / عبد الحليم الغِزّي
ملحق البانوراما - العالم من حولنا ج8
رواية المشرقيين - الثورة الايرانية الخمينية
الجمعة : 29/ذو القعدة/1445هـ - الموافق 7/6/2024م

"مُلحقُ بانُوراما الظُهور".

العنوان الثَّالث: "العَالَمُ مِن حَولِنا"، الجزءُ الثَّامِن والأخيرُ مِن هٰذا العنوان.

هُناكَ النُصوصُ الأهمّ بالنِّسبةِ للشيعيّ في هٰذا الزَّمان، أتحدَّثُ عن النُصوص الأهمّ في أجواءِ العلاماتِ والوقائعِ المهدويّة، هٰذهِ النُصوصُ لو أنَّ الشيعيَّ في زمانِنا هٰذا أحاطَ عِلماً بِها سيمتلكُ رُؤيةً واضِحةً عن الواقع الَّذي يعيشُ فيهِ من خِلالِ الثقافةِ المهدويّة.

- **النصُّ الأوَّل:**

في (غَيبَة النُّعماني)، المتوفّىٰ سنة 360 للهجرة/ طبعةُ أنوار الهدىٰ/ الطبعة الأولىٰ/ قُم المقدَّسة/ الصفحةِ الحاديةِ والثمانين بعدَ المئتين، الحديثُ الخمسون: **بِسنده** - بِسند النُّعماني - **عَن أَبِي خَالِدٍ الكَابُلي، عَن إِمَامِنَا البَاقِرِ صَلواتُ اللَّهِ وَسلامهُ عليه** - حديثُ المشرقيّين، الإمامُ الباقِرُ يقول: **كَأَنِّي بِقَومٍ قَد خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَهُ، ثُمَّ يَطلبُونَهُ فَلا يُعطَونَه، فَإِذا رَأَوا ذَلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُم عَلَىٰ عَواتِقِهِم فَيُعطَونَ مَا سَأَلُوه فَلا يَقْبَلُونَهُ حَتَّىٰ يَقُومُوا وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم، قَتْلَاهُم شُهَدَاء أَمَا أَنِّي لَوْ أَدْرَكتُ ذَلِك لاسْتَبْقَيتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَذَا الأَمْر** - هٰذا النصُّ الأوَّل.

- **النَّصُّ الثَّاني:**

في الجُزء الثَّامِن والتسعين مِن (بحار الأنوار) للمجلسي، المتوفّىٰ سنة 1111 للهجرة/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ صفحة 114/ الحديثُ السادسُ والثلاثون: **عَن إِمَامِنا الرِّضَا، عَن آبَائِه، عَن عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ السَجَّاد صَلواتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِم أَجْمَعِين: كَأَنِّي بِالقُصُورِ وَقَد شُيِّدَت حَوْلَ قَبْرِ الحُسَين، وَكَأَنِّي بِالأَسْوَاقِ قَد حُفَّت حَوْلَ قَبْرِه، فَلا تَذْهَبُ الأَيَّامُ واللَّيَالِي حَتَّىٰ يُسَارَ إِلَيهِ مِنَ الآفَاق، وَذَلِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ مُلْكِ بَنِي مَرْوَان.**

- **النَّصُّ الثَّالث:**

في (غَيبَة النُّعماني)، مِن المصدرِ نَفسهِ الَّذي أشرتُ إليهِ قبلَ قليل، حديثٌ طويلٌ، الحديثُ الثالثَ عشر، يبدأُ في الصفحةِ الثَّانيةِ والستين بعدَ المئتين: **بِسَنَدِ النُّعماني، عَن أَبِي بَصِيرٍ، عَن إِمَامِنا البَاقِرِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عَلَيه** - موضعُ الحاجةِ منه الضروريُّ للشيعيّ ما جاءَ في الصفحةِ الرابعةِ والستين بعد المئتين، إمامُنا الباقرُ يقول صلواتُ اللَّهِ عليه: **خُرُوج السُفيَانِيّ وَاليَمَانِيّ وَالخُراسَانِيّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ فِي يَومٍ وَاحِد نِظَامٌ كَنِظَامِ الخَرَزِ يَتْبَعُ بَعضهُ بَعْضَاً، فَيَكُونُ البَأسُ مِن كُلِّ وَجْه، وَيْلٌ لِمَن نَاوَاهُم، وَلَيسَ فِي الرَّايَاتِ رَايَةٌ أَهْدَىٰ مِن رَايَةِ اليَمَانِي هِيَ رَايَةُ هُدَىً لأَنَّهُ يَدعُو إِلَىٰ صَاحِبِكُم، فَإِذا خَرَجَ اليَمَانِيُّ حَرُمَ بَيعُ السِّلَاحِ عَلَىٰ النَّاسِ وَكُلِّ مُسْلِم، وَإِذَا خَرَجَ اليَمَانِيُّ فَانْهَض إِلَيْه فَإِنَّ رَايَتَهُ رَايَةُ هُدَىً وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَن يَلْتَوِيَ عَلَيه فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِن أَهْلِ النَّار لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الحَقّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيم.**

- **النَّصُّ الرابع:**

في (دلائلُ الإمامة)، للمُحَدِّث الطبري الإمامي وهُوَ مِن أعلامِ الشيعةِ في القرن الخامس الهجري، طبعةُ مؤسَّسة البِعثة/ قم المقدَّسة/ الصفحةِ الخامسةِ والخمسين بعدَ الأربعِ مئة/ الحديثُ التاسعُ والثلاثون: **عَن إِمَامِنَا البَاقِرِ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيه** - أذهبُ إلىٰ موطن الحاجةِ مِنه ما هُوَ ضَروريٌّ للشيعيّ أن يَفقَههُ في هٰذا الزَّمان، حَديثُ إمامنا الباقرِ عن بَتريّي النَّجف: **وَيَسِيرُ إِلَىٰ الكُوفَةِ** - إمامُ زمانِنا - **فَيَخْرُجُ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَاً مِنَ البَتْرِيَّةِ** - مُحرَّكةٌ هُنا (مِنَ البُتْرِيَّةِ) وهذا التحريكُ ليسَ صحيحاً - **مِنَ البَتْرِيَّة شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ قُرَّاءَ القُرآن فُقَهَاءَ فِي الدِّيْن قَد قَرَّحُوا جِبَاهَهُم وَشَمَّرُوا ثِيَابَهُم وَعَمَّهُم النِّفَاق وَكُلُّهُم يَقُولُون؛ يَا ابْنَ فَاطِمَة ارْجِع لَا حَاجَةَ لَنَا فِيْك، فَيَضَعُ السَّيْفَ فِيهِم عَلَىٰ ظَهْرِ النَّجَف عَشِيَّةَ الإِثْنَين مِنَ العَصْرِ إِلَىٰ العِشَاء فَيَقْتُلُهُم أَسْرَعَ مِن جَزْرِ جَزُورٍ، فَلا يَفُوتُ مِنهُم رَجُل وَلا يُصَابُ مِن أَصْحَابِهِ أَحَد، دِمَاؤُهُم قُربَانٌ إِلَىٰ الله، ثُمَّ يَدخُلُ الكُوفَةَ فَيَقْتُلُ مُقَاتِلِيهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.**

هٰذهِ النصوصُ الأربعةُ هِي النصوصُ الأهمّ الَّتي يحتاجُ الشيعيُّ في هٰذا الزَّمانِ إلىٰ الاطّلاعِ عليها وإلىٰ معرفةِ مضامينها، أو علىٰ الأقلِّ أن يَتدبَّرَ هُوَ فيها، هٰذهِ النصوصُ مِن أُمَّهاتِ النصوصِ في ثقافةِ قَناة القَمَر..

هٰذا البرنامجُ حاولتُ أن أضع فيهِ خُلاصةً مُهِمَّةً للثقافةِ المهدويَّةِ الَّتي يحتاجُها الشيعيُّ المُنتَظِرُ الَّذي ينتَظِرُ إمامَ زمانهِ وفقاً لمواثيقِ بيعة الغدير..

ما أريدُ أن أتناولَهُ في هٰذهِ الحلقة ما يرتبطُ بالنَّصّ الأوَّل بالحديثِ المرويّ عن إمامِنا الباقرِ عن المشرقيّين..

تَحدَّثتُ عن المَسارين اللَّذَين أشارت إليهما الرِّواية؛

- هُناكَ المَسارُ المشرقيُّ الإيرانيُّ.

- وهُناكَ المَسارُ الثَّاني وهُوَ المَسارُ اليَمانيُّ الَّذي أشارَ إليهِ إمامُنا الباقرُ صلواتُ اللَّهِ وسلامهُ عليه.

في هٰذهِ الحلقةِ أُريدُ أن أُسلِّط الضوء علىٰ تفاصيلِ الوقائعِ الَّتي تحدَّثت هٰذهِ الرِّوايةُ عنها..

بالإجمالِ؛ الرِّوايةُ في شِيعةِ إيران، لا أُريدُ أن أخوضَ في نِقاشاتٍ جانبيَّةٍ سَخِيفةٍ، وهِيَ تُعارِضُ الوضُوحَ والبيانَ الشَّاخِصَ في كلماتِ إمامِنا الباقر صلواتُ اللهِ عليه، الإمامُ الباقرُ كانَ في المدينةِ وهُوَ يتحدَّثُ عن مَشرق الحجاز، عن مَشرقِ البلد الَّذي كانَ يعيشُ فيه، وفي بعض الأحيان الأَئِمَّةُ يَتحدَّثونَ معَ العِراقيّينَ فإنَّ شِيعَتَهُم يأتُونَ مِنَ العِراق، فحينما يَتحدَّثُونَ مَعهُم يَتحدَّثونَ عن مَشرق العِراق، ومشرقُ العِراقِ ومشرقُ المدينةِ واحد، المكانُ الَّذي يُشارُ إليه في جِهةِ المشرقِ إيران، علىٰ الأقلِّ بِحسَبِ ما أفهمهُ مِنَ النُّصوصِ والرِّواياتِ والأحاديثِ كُلِّها، فأنا لا أتحدَّثُ عن حديثٍ واحد، الرِّوايةُ واضحةٌ فهؤلاءِ شِيعةٌ يَعتقدونَ بإمامةِ الإمامِ الثَّاني عَشر في سِلسِلَةِ الأَئِمَّةِ المعصُومِينَ الاثني عشر؛ (**وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم**)، لأنَّهم يعتقدونَ بإمامتهِ لأنَّهُم ينتظرونَهُ فهؤلاءِ شِيعةٌ، ثُمَّ ماذا تقولُ الرِّوايةُ؟

"**قَتْلَاهُم شُهَداء**"؛ هٰذا الوصفُ لا يُمكِنُ أن يَصدُرَ عن الإمام الباقرِ كي يَصِفَ نواصِبَ سقيفةِ بني ساعدة، إذاً القومُ شِيعةٌ، والقومُ يَعتقدونَ بإمامةِ الإمام الثَّاني عشر ويَنتظرونهُ وهُم صادِقونَ في انتظارهم، فَهُم في مَشرق الحجازِ إذا كانَ الكلامُ عن مشرق الحجاز حيثُ كانَ الإمامُ في المدينةِ المنوّرة، أو هُم في مَشرقِ العِراقِ إذا كانَ الكلامُ يُوجَّهُ للشيعةِ في العِراق، ومَشرقُ الحِجازِ ومَشرقُ العِراقِ واحد، ثُمَّ سَيُقتَلُ مِنهُم ما يُقتَل إن كانَ في مرحلةِ المُطالبةِ بالحقّ أو بعدَ ذٰلكَ إلىٰ زمن الظُهور لأنَّ الرِّواية هٰكذا قالت: (**قَتْلَاهُم شُهَداء**)، الإمامُ فَصَّلَ في أوضاعهم مِن أنَّهم سيجري عليهم كذا وكذا وكذا، إلىٰ أن قالَ: (**وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم قَتْلَاهُم شُهَداء**)، سيُقتلُ مِنهُم قبلَ الانتصارِ وبعدَ الانتصار، وسيبقىٰ القَتلُ موجوداً فيهِم إلىٰ زمن الظهور، هٰذا هُوَ الموجودُ في الرِّوايةِ بِنحوٍ واضح.

هٰذا المضمونُ الإجماليُّ ينطبقُ علىٰ الشيعةِ الإيرانيّينَ في زماننا أو لا ينطبقُ عليهم؟ ماذا تقولونَ أنتُم؟! بغضّ النَّظرِ عن موقفٍ سياسيٍّ نَتَّفِقُ معهُ أو نختلفُ مَعه، بغضّ النَّظرِ عن كَلمةٍ هُنا وكلمةٍ هُناك، بغضّ النَّظرِ عن هٰذا الشَّخصِ أو ذاك، إنَّني أتحدَّثُ عن كينونةٍ، عن حركةٍ يشتركُ فِيها الكثيرون مِن مُختلَفِ الاتِّجاهات..

إنَّها نَصٌّ مُتماسِكٌ في ألفاظهِ وتعابيرِهِ ومضمونهِ، إذا أخذتُ هٰذا النَّص وقايستهُ بالنصوص الَّتي وردت بنفس المضمونِ في كُتُب المخالِفين فإنَّ نُصوصَهُم هزيلةٌ مَهزوزةٌ وقد عرضتُ هٰذا في برامجي السابقة..

- إذاً القومُ مَشرقِيُّون في مَشرق الحجازِ ومَشرق العِراق.

- والقومُ شِيعةٌ يعتقدونَ بإمامِ زماننا بقيّة الله، ينتظرونهُ وهُم صادِقونَ في عقيدتِهم لذا تقولُ الرِّوايةُ: (**وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم**).

- يَتعرَّضونَ للقَتْلِ قَبلَ الانتصارِ وبعدَ الانتصارِ إلىٰ زمان الظهور، هٰكذا تقولُ الرِّوايةُ: (**قَتْلَاهُم شُهَداء**).

هٰؤلاءِ لَهُم مَسارُهُم، لَهُم كينونتُهم، لهم اتِّجاهُهم، لهم أخطاؤهُم وصوابُهم، وهٰذا شيءٌ طبيعيٌّ، الأحادِيثُ أخبرتنا مِن أنَّهُ ما مِن مجموعةٍ، ما مِن اتِّجاهٍ، ما مِن حِزبٍ، ما مِن مَذاقٍ، ما مِن مَشربٍ فِكريٍّ إلَّا وأهلهُ يَحكُمون وسوفَ لا يكونُ حُكمُهم عادِلاً يختلِطُ فيهِ العَدلُ والظُّلم، العَدلُ لا يكونُ إلَّا في زمانِ قائمِ آلِ مُحَمَّد، الصَّلاحُ لا يكونُ إلَّا في زَمانِ قائمِ آلِ مُحَمَّد..

-**كَأَنِّي بِقَومٍ قَد خَرَجُوا بِالْمَشْرِق** - هٰؤلاءِ شِيعةٌ مَشرقِيُّون، وبتعبيرٍ واضحٍ إيرانيُّون - **يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَه** - هٰذهِ (ثُمَّ) كما يقولونَ تُفيدُ معنىٰ التراخي هُناكَ فاصِلٌ زماني، إذاً هٰؤلاءِ المشرقِيُّون - **يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَه** - هٰذهِ مرحلةٌ - **ثُمَّ** - تأتي مرحلةٌ ثانية - **ثُمَّ يَطلبُونَهُ فَلا يُعطَونَه** - إذاً هُناكَ فاصِلٌ زمانيٌّ، تُلاحِظونَ النَّشاطَ الأوَّل: **يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَه** - فانتهىٰ هٰذا النَّشاط - **ثُمَّ** - بعدَ فترةٍ زمانيَّةٍ يُعاودونَ النَّشاطَ نَفسَه - **ثُمَّ يَطلبُونَهُ** - يطلبونَ نفسَ الحَقّ - **فَلا يُعطَونَه** - في النَّشاط الثَّاني لَمَّا يَصلونَ إلىٰ النَّتيجةِ نَفسِها (يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَه) - **فَإِذا رَأَوا ذٰلِك** - سينتقلونَ إلىٰ نشاطٍ ثالث - **فَإِذا رَأَوا ذٰلِك وَضَعُوا سُيُوفَهُم عَلَىٰ عَواتِقِهم** - ليسَ هُناكَ من معركةٍ واضحةٍ ولكنَّهُم يَتهيّؤونَ لِمعركةٍ وبالأسلحةِ، حدثت بعضُ الوقائعِ في هٰذهِ المرحلة، لكنَّ المرحلة ما كانت سِمَتُها أنْ استعملوا السِّلاحَ، رُبَّما استعملوهُ في نِطاقٍ ضَيِّقٍ جِدَّاً في بعض الوقائعِ والحوادث، لكنَّ السِّمَة العامَّةَ فإنَّ الثَّورة كانت سِلمِيَّةً، فإنَّ الثَّورةَ اعتمدت أسلوبَ المظاهرات، أسلوبَ الاحتجاجات، أسلوبَ الإضرابات، هٰذا هُوَ الأسلوبُ الَّذي اعتمدتهُ الثَّورةُ الإيرانيَّةُ الخُمينيَّة، وَضْعُ السَّيفِ علىٰ العَاتِق إنَّهُ استعدادٌ للقِتال، استعدادٌ لاستعمال السِّلاح - **فَيُعْطَونَ مَا سَأَلُوه** - هُنا في هٰذهِ المرحلة يُعطَونَ ما سَأَلُوه - **فَلَا يَقْبَلُونَهُ** - لا يقبلونَ ذٰلكَ العطاء - **حَتَّىٰ يَقُومُوا** - إنَّهُم يستمرّونَ في ثَورتهم في نَهضَتِهم في قِيامِهم، حتَّىٰ يَقُوموا أي أنَّ الأمرَ سيكونُ بأيدِيهم، ستتشكَّلُ حُكومةٌ - **وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم** -كيفَ يدفعونَها إلىٰ صاحِبنا وهُم لم يَكُونوا قد شَكَّلوا دَولةً قد شَكَّلوا حُكومةً؟! - **قَتْلَاهُم شُهَداء، أَمَا أَنِّي لَوْ أَدْرَكتُ ذٰلِك لَاسْتَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصَاحِب هَذَا الأَمْر** - هٰذا هُو المَسارُ الَّذي يُفَضِّلهُ الإمام إنَّهُ المَسارُ اليمانيّ، ومَرَّ علينا ما المراد من الاستبقاء، هُناكَ فارقٌ بينَ البقاءِ والإبقاءِ والاستبقاء، مِثلما هُناكَ فارقٌ بينَ الخُروجِ والإخراجِ والاستخراج، بينَ النِّتاجِ والإنتاجِ والاستنتاج..

الرِّوايةُ واضحةٌ، فتعالوا كي نَعرفَ ما الَّذي جرى في الثَّورةِ الإيرانِيَّةِ الخُمينيَّة؛

أنا لا أُريدُ أن أُحدِّثَكُم حَدِيثَ المؤرِّخين، وأن أبدأ مِن بِداياتِ نُشوءِ المعارضةِ الدِّينيَّة في إيران حتَّىٰ في الحُكوماتِ السَّابقةِ إن كانَ ذٰلكَ في أيَّامِ القاجاريّين، أو كانَ ذٰلكَ في أيّامِ رضا شاه الَّذي هُوَ والدُ شاه إيران حيثُ حَدَثت الثَّورةُ في زمانهِ محمّد رضا بهلوي، فأنا لا أُريدُ أن أُحَدِّثَكُم حَدِيثَ المؤرِّخين، إنَّما هُوَ بَيانٌ إجماليٌّ لِمَا يرتبطُ بهٰذهِ الرِّوايةِ المهمَّة..

البدايةُ تكونُ من سنةِ (1963):

لن أتحدَّثَ قبلَ هٰذا التأريخ لأنَّ الرِّوايةَ بِحسَبِ ما أفهم تتحدَّثُ عن هٰذا التأريخ، المقدِّماتُ لا شأنَ لي بها، وأبدأُ مِن هُنا: شاه إيران محمّد رضا بهلوي أعلنَ ثورتهُ في ذٰلكَ الوقت إنَّها ثورتهُ البيضاء، جاءَ ببرنامجٍ لأجلِ أن يُطَبِّقَ ما يُريدهُ هُوَ مِن جَعلِ إيرانَ دولةً تكونُ ثقافتُها ثقافةً غربيَّةً، هٰذا هُوَ الَّذي كان يُريدهُ شاهُ إيران، فالرَّجُلُ ثقافتهُ غربيَّةٌ ودِراستهُ غربيَّةٌ ويَجدُ أنَّ مصالحهُ

وأنَّ مصالِحَ إيران مع العالَم الغربيّ، أنا لا أُريدُ أن أُناقِشَ هٰذا الموضوع، لكنَّ البداية مِن هُنا مِن الثَّورة البيضاء الَّتي أعلنها شاهُ إيران، وكانَ ذٰلكَ في سنة 1963 ميلادي.
مِن جُملةِ مُفرداتِ هٰذهِ الثورة: "الإصلاحُ الزراعي"، وهُوَ يُريدُ أن يتواصلَ معَ الفَلَّاحين، أن يتواصلَ معَ الطبقاتِ الَّتي يُقالُ عنها الطبقاتُ المسحوقةُ في المجتمع، هٰذهِ مَلَكِيَّةٌ دكتاتوريَّةٌ، الشيءُ الطبيعيُّ فإنَّ العلاقة ستكونُ معَ المجتمع الارستقراطي أو ما كانَ قريباً من هٰذا المجتمع الَّذي قد يُعَبِّرُ عنه بالمجتمعِ المخملي، شاه إيران وجدَ نَفسهُ أنَّهُ لن يستطيعَ أن يُطَبِّقَ برنامجهُ الغربي مِن دُونِ أن تكونَ لهُ روابط وعلاقات مع الطبقاتِ المسحوقة، ولِذا أرادَ أن يُقِيمَ علاقاتٍ مع الفَلّاحين معَ العُمّال مع الفُقراء فوضعَ برنامجهُ في إصلاحٍ زراعيٍّ، في إصلاحاتٍ اقتصاديَّةٍ، في الدِّفاعِ عن حقوق المرأةِ، إلىٰ غيرِ ذٰلك، كلامٌ نظريٌّ كسائرِ الحُكوماتِ في دُول العالم الثَّالث، الاصطدامُ مُتوقَّعٌ أنَّ المؤسَّسة الدِّينيَّة ستصطدمُ بِهٰذا التغريب، لأنَّهُ برنامجٌ تَغريبيٌّ واسِعٌ، وأنا لا أخوضُ هُنا في التفاصيل.
أُلفِتُ أنظاركُم إلىٰ نُقطةٍ يُمكِنُ مِن خِلالِها أن تُشَخِّصوا الأوضاعَ كيفَ كانت:
العربُ الخليجيُّون الَّذينَ يبحثونَ عن السياحةِ الجنسيَّة، وآخرون مِن دُولٍ أخرىٰ، أينَ كانوا يذهبون؟ يأتُونَ إلىٰ إيران، لأنَّ إيرانَ كانت تُوفِّرُ السياحة الجنسيَّة بنحوٍ واضحٍ وفاضحٍ في الوقتِ نفسه، بعدَ أن تأسَّست الجمهوريَّةُ الإسلاميَّةُ الإيرانيَّة العربُ الخليجيُّون الَّذينَ يبحثونَ عن السياحةِ الجنسيَّة بدأوا يُسافِرونَ إلىٰ الدُّولِ الآسيويَّة، وإلَّا فإنَّ مَقصدَهُم سابقاً كانَ باتِّجاهِ إيران، يُمكِنكم مِن خِلالِ هٰذا المثالِ أن تتصوَّروا بقيَّة التفاصيل.
فشاه إيران مِن الطبيعيّ أن تصطدمَ المؤسَّسةُ الدِّينيَّةُ ببرنامجهِ التغريبي الواسِع، مراجِعُ إيران، مراجِعِ قُم وسائرِ المُدُن الأخرىٰ؛ مشهد، طهران، اعترضوا علىٰ الشاه، ولكنَّهم بعدَ ذٰلكَ انسحبوا مِن دائرة الاعتراض تحتَ عُنوان؛ "التَّقيَّةِ"، حِينما أعلن الخُمينيُّ مِن أنَّهُ معَ شاه إيران لا يجوزُ العَملُ بالتَّقيَّة، فتركوا الخُمينيَّ لوحدهِ في السَّاحة وانسحبوا، كُلٌّ لَهُ عُذرهُ..
فَبَقِيَ الخُمينيُّ لوحدهِ في السَّاحةِ، قادَ المعارضةَ، وكانَ صوتهُ عالِياً مِمَّا أزعجَ الشاه فأمرَ باعتقالِهِ، وكانَ اعتقالهُ في السَّنةِ نَفسِها في سنةِ الثَّورة البيضاء اعتُقِلَ الخُمينيُّ وأُخِذَ مِن بَيتِهِ في مدينة قم إلىٰ طهران سنة 1963 ميلادي، بَقِيَ في الإقامَةِ الجبريَّةِ في طهران ثمانية أشهُر، وبعدَ ذٰلكَ أُطلِقَ سَراحهُ فرجعَ إلىٰ مدينةِ قم، لا أُريدُ أن أدخُلَ في مسألةِ هل أنَّهُم أرادوا إعدامهُ أم أنَّهُم لم يُريدوا إعدامه..
توقَّعوا أن الخميني بعدَ هٰذا الاعتقالِ حينما يعودُ إلىٰ قُم سيكونُ حالهُ كحالِ بقيَّة المراجعِ الَّذينَ جلسوا في بُيوتِهم وبَلَعوا ألسنَتَهُم، الخُمينيُّ ليسَ كذٰلك رَجَعَ مُعارضاً وبنحوٍ أقوىٰ، فاعتقلوهُ مَرَّةً ثانية في شهرِ تشرين الثَّاني سنة 1964 للميلاد، وقاموا بِنَفيه إلىٰ تركيا، وبعدَ ذٰلكَ انتقلَ هُو مِن تركيا إلىٰ العِراق.
لَمَّا اعتقلوا الخُميني في المرَّةِ الأولىٰ خرجَ أنصارهُ يَحتجُّونَ علىٰ ذٰلك، وحدَثت مُواجهات، وقُتِلَ بعضُ النَّاس، هُناكَ أرقامٌ كبيرةٌ يُقَدِّرها أصحابُ الثَّورةِ، وهُناكَ أرقامٌ صغيرةٌ يُقَدِّرها آخرون، لا أريدُ أن أدخل في هٰذهِ التفاصيل..
قطعاً هٰذا كلامٌ وجيزٌ، هُناكَ الكثيرُ من التفاصيل، الكثيرُ مِن البيانات، والكثيرُ مِنَ الخطابات، والكثيرُ مِنَ المظاهرات، والكثيرُ مِنَ الاعتقالات..
يَطلِبُونَ الحَقَّ هُناكَ أمرٌ يُريدونَهُ، إنَّهُم في مُواجهةِ البرنامجِ التغريبي لشاهِ إيران، هُوَ يُريدُ أن يُطَبِّق برنامجاً تغريبيّاً؛
ثقافةُ الغرب؛ "الديمقراطيَّةُ"، أينَ هِيَ الديمقراطيَّة؟
ثقافةُ الغرب؛ "الدَّساتِيرُ والقوانين"، أينَ هي الدَّساتِيرُ والقوانين؟
ثقافةُ الغرب؛ "حُريَّةُ التَّعبير حُريَّةُ الرأي"، أينَ هِيَ حُريَّةُ الرأي وحُريَّةُ التَّعبير؟
شاهُ إيران يُريدُ أن يُبقِيها دِكتاتوريَّةً ولكنَّهُ يستجلِبُ المظاهرَ الغربيَّةَ فقط، في الملبسِ، في المأكلِ، في المشربِ، في الكازينوهات، في الملاهي الليليَّة، إنَّهُ يُريدُ هٰذا مِن التَّغريب، هٰذا هُوَ الَّذي كانَ يَجري علىٰ أرض الواقِع، خَرجوا يطلبُونَ الحقّ بِحسَبِ ما هُم يَعتقدون، هُمُ أيضاً لا يعني أنَّهُم كامِلون، وإنَّما يطلبُونَ الحَقَّ مِن وِجهةِ نَظرِهم الَّتي يعتقدونَها.
"كَأَنِّي بِقَومٍ قَد خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَه"؛ انتهت هٰذهِ المرحلَة، هُناكَ مَن وُضِعَ في الحُبُوسِ والسُّجُون، هُناكَ مَن قُتِل، هُناكَ التخويف والترهيب، وهُناكَ مَن فَرَّ إلىٰ خارج البلاد وقائدُهم قد نُفِي إلىٰ تركيا وبعدَ ذٰلك انتقلَ إلىٰ العِراق فانتهت هٰذهِ المرحلة الأولىٰ..
استمرَّ الشاهُ في برنامجهِ؛
سنة (1971)، أقامَ ذٰلكَ الاحتفالَ الأسطوري وهُوَ يُعِيدُ ذكرياتِ الإمبراطوريَّة الفارسيَّة، احتفالٌ أسطوريٌّ ودَعا إليهِ رُؤساءَ العَالم والمُلوكَ والأُمراء، حِكايةٌ مِن حِكاياتِ أَلف لَيلةٍ وليلة، يُمكِنكُم أن تُشاهدوا بعضاً مِمَّا جرىٰ في تِلكَ المناسبةِ علىٰ الإنترنيت، هٰذهِ أثارَت المؤسَّسة الدِّينيَّة عليه وأثارت النَّاسَ عُموماً، واستمرَّ شاهُ إيران في هٰذا الاتِّجاه في التمجيدِ بالتأريخِ الفارسي الَّذي لا علاقة لَهُ بدين الإسلام وبِنقلِ المظاهِرِ التَّغريبيَّةِ إلىٰ إيران، إلىٰ أن ألغى العَملَ بالتقويم الإيراني الَّذي هُوَ تَقويمٌ هِجريٌّ شَمسيّ ألغى العَملَ بِهِ، وفَرضَ العَملَ بالتَّقويم الفارسيّ بِحسَبِ تأريخِ الإمبراطوريَّةِ الفَارسِيَّةِ الساسانِيَّة، وأسَّس حِزباً وهُو لا يَسمحُ لأيِّ حِزبٍ من الأحزاب السياسيَّةِ بالعمل، الأحزابُ ممنوعةٌ، أسَّسَ حِزبَهُ الخاص؛ "رستاخيز"، وترجمةُ ذٰلكَ: حِزبُ البَعْث، وقد يُترجَمُ إلىٰ: "حزب النَّهضة"، فَرضهُ علىٰ النَّاسِ فَرضاً، يَجبُ علىٰ كُلِّ إيرانيٍّ بالِغٍ في المدارسِ، في الكليَّاتِ، في المصانعِ، في المزارعِ، في المعسكراتِ، في كُلِّ مكانٍ يجبُ علىٰ كُلِّ إيرانيٍّ بالِغٍ أن يَكونَ عُضواً في هٰذا الحزب وأن يدفعَ بدلات الاشتراك

وأن يكونَ ناشِطاً في هٰذا الحزب، واستمرَّ شاهُ إيران يعملُ بهٰذا الأسلوب، هُناكَ برلَمانٌ في إيران، لكنَّ البرلَمانَ لا يعملُ شيئاً، البرلَمانُ يُصَفِّقُ لشاهِ إيران أوَّلاً، ويُصَفِّقُ للحكومةِ ثانياً إذا كانَ الشاهُ راضياً عنها، هٰذا هُوَ حالُ دُوَلِنا في العالم الثَّالث..
أنصارُ الخُمينيّ لم يَتوقَّفوا عن العَمَل، لكنَّ عَملَهم كانَ محدوداً، السافاك وهُوَ الجهازُ الأمني، وكانَ جهازاً مُخِيفاً جِدّاً كانَ يتتبَّعُ النَّاشِطينَ من أنصار الخمينيّ في كُلِّ مكانٍ، الاعتقالُ والتغييبُ والقتلُ والتعذيبُ الحِكايةُ هِيَ هِيَ، حِكايةُ السَّلاطِينِ والرؤساءِ في بُلدانِنا العربيَّةِ والإسلاميَّة وإلىٰ هٰذهِ اللَّحظة الحِكايةُ هِيَ هِيَ، قد يكونُ هُناكَ تغييرٌ جُزئيٌّ في جِهةٍ مِنَ الجهات لكنَّ المَسارَ هُوَ المَسار، استمرَّت الأمورُ والأحداثُ علىٰ هٰذهِ الجديلةِ وهٰذهِ الطريقة.

إلىٰ أن وصلنا إلىٰ المرحلةِ الثَّانية:

حيثُ رَجعت المظاهراتُ مِن جديد، المظاهراتُ انتهت بِنَفي الخُمينيّ إلىٰ تركيا، وبَقِيت المُعارَضةُ مِن أنصار الخُمينيّ تعملُ بنحوٍ محدودٍ جِدّاً، إنَّهُ عَملٌ في الخفاء، والسافاكُ يُطارِدُهم، إنَّها المرحلَةُ الَّتي يُعَبَّرُ عنها في تأريخِ المعارضاتِ السياسيَّة؛ "مرحلةُ العَمل السَّلبي، العَمَل السرّي، النِّضال السَّلبي"، إلىٰ أن وصلنا إلىٰ سنة 1977 بدأت المرحلةُ الثانية..

المرحلةِ الثَّانية؛ (ثُمَّ يَطلبُونَهُ فَلا يُعطَونَه):

رجعت المظاهراتُ مَرَّةً أُخرىٰ سنة 1977، في هٰذهِ السنة توفّي عليّ شريعتي، كاتِبٌ مُثقَّفٌ وأُستاذٌ جامعيٌّ مُفَكِّرٌ إيرانيٌّ مِنَ الطرازِ الأوَّل، لهُ أتباعهُ وأنصارهُ، لا أريدُ الحديثَ عن فِكرهِ وعن كتاباته، توفّي في المملكة المتحدة، الوثائقُ تقولُ مِن أنَّهُ توفّي بسببِ نَوبةٍ قلبيَّة، أتباعهُ في إيران قالوا بأنَّ الشاه كانَ وَراءَ مَقتَلِهِ فحدَثَ هَيَاجٌ وكانت هُناكَ مُظاهرات لكنَّها ليست واسعةً جِدّاً.
المظاهراتُ الحقيقيَّةُ حدثت في أواخرِ سنة 1977، وابتداءً مِنَ اليوم: [1977/10/23]، ما الَّذي جرى؟
مصطفىٰ الخمينيّ إنَّهُ الابنُ الأكبرُ لروح الله الخُمينيّ توفّي في النَّجف، كانَ معَ أبيهِ في النَّجف وكانَ مُرافِقاً لأبيهِ حِينما نُفِيَ أبوهُ إلىٰ تركيا، توفّي في النَّجف، أنصارُ الخُمينيّ في إيران قالوا مِن أنَّ السافاك هُم الَّذينَ سَمَّموه قَتلُوهُ بالسَّم، إلىٰ هٰذهِ اللَّحظةِ لم أَجِد نَصّاً صادِراً عن الخُمينيّ أو عن أُسرتهِ يُصَرِّحُ بأنَّ السافاك قد قَتَلَهُ بالسَّم، الرَّجُلُ كانَ مريضاً رُبَّما توفّي بِسبَبِ مَرضهِ، ورُبَّما السافاكُ قَتَلُوه لا أدري، وحِينما أقول لم أجِد نَصّاً واضحاً إنَّني قد اطَّلعتُ علىٰ مِئاتٍ مِنَ المصادرِ ترتبطُ بالثَّورةِ الإيرانيَّة..
الإيرانيُّونَ هٰكذا اعتقدوا مِن أنَّ السافاك قَتَلَ مصطفىٰ الخُميني، فهاجت إيران؛ قم، طهران، مشهد، أصفهان، هاجت إيران بالمظاهرات، وكانت المظاهراتُ أقوىٰ مِن المظاهراتِ الَّتي كانت في المرَّةِ الأولىٰ سنة 1963، هٰذهِ المرَّةُ الثَّانية أقوىٰ مِنَ المرَّةِ الأولىٰ، قُمِعت المظاهرات، رُبَّما ضَعُفت بعضَ الشيء.

ولكن جاءت سنة 1978:

وهِيَ سَنةُ الثَّورةِ إذا أردتُ أن أتحدَّثَ عن الثَّورةِ الفِعليَّة، ومِن أوَّلِها، (7 / 1)، فهٰذا يومٌ مَشهود في تأريخِ الثَّورةِ الإيرانيَّةِ الخُمينيَّة، [1978/1/7] لَمَّا خرجت صحيفةُ اطلاعات وهِيَ صَحيفةٌ مَشهورةٌ في ذٰلكَ الوقت ولا زالت موجودةً في زماننا هٰذا، مَقالٌ في هٰذهِ الصَّحيفَة والكاتِبُ ليسَ مَعروفاً لأنَّهُ كَتبَ المَقالَ بإسمٍ مُستعار، إنَّهُ مِن رِجالاتِ الدَّولَة، المَقالُ عنوانهُ: (**إيران والاستعمارُ الأحمرُ والأسود**)، "الاستعمارُ الأحمرُ"؛ الإشارةُ إلىٰ الاتِّحاد السوفيتي إلىٰ الشيوعيّين إلىٰ الماركسيّين، "والأسود"؛ إشارةٌ إلىٰ رِجال الدِّين، هٰذا المَقال تَهجَّمَ بِقُوَّةٍ علىٰ الخمينيّ، فوصفَهُ بأنَّهُ عَميلٌ بريطاني، ووصفَهُ بأنَّهُ هِنديٌّ، هُوَ بالفِعل هِنديٌّ، الخُمينيُّ أصولُ عائلتهِ مِنَ الهند، وهُم ينتسبونَ إلىٰ السَّادَةِ الَّذينَ يُعرفونَ بالسَّادَةِ العِبقاتية، أصلهُ مِنَ الهند هٰذهِ حقيقةٌ..
هٰكذا وَصفَ الخُمينيّ: (**بأنَّهُ عَميلٌ بريطانيٌّ وبأنَّهُ هِنديٌّ وليسَ إيرانيّاً وبأنَّهُ شاعِرٌ مجنونٌ**)، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأوصاف الَّتي وَصَفوا بِها الخُمينيَّ في ذٰلكَ المَقال، فهاجت حوزةُ قم، قطعاً هاجَ الجناحُ الخُمينيُّ فيها، وإلَّا فإنَّ حوزة قم لم تَكُن علىٰ وِفاقٍ معَ الخُميني..
الجناحُ الخُمينيُّ في حوزةِ قم؛ هٰذا الجناحُ هَيَّجَ الشارع واصطدمَ طُلّابُ الحوزةِ بالقُوَّة النِّظامِيَّة بِشُرطة الشاه، والشرطةُ قَتلَت بعضَ الطُّلّاب الَّذينَ اصطدموا بِهم، بإشارةٍ خَفيَّةٍ مِنَ الخُمينيّ أن يُواصِلوا احتجاجَهُم وأن يُؤكِّدوا ذٰلكَ في مُناسبةِ أربعين هٰؤلاء الَّذينَ قُتِلوا، معروفٌ في أوساطِنا الشيعيَّةِ هُناكَ مُناسبَةُ الأربعين للموتىٰ..
هاجت المُدُنُ الإيرانيَّة وخُصوصاً تبريز فقد خرجت فِيها مُظاهراتٌ عارِمة وهَجمَ النَّاسُ علىٰ البُنُوكِ ودوائر الدَّولَةِ وعلىٰ الكازينوهات وعلىٰ الحانات وعلىٰ دُور السِّينما، وتَمَّت عمليَّاتُ إحراقٍ واسعة، وحدثت اصطدامات، وقُتِلَ مِنَ النَّاسِ عددٌ ليسَ قَلِيلاً، أيضاً وبإشارةٍ مِنَ الخُمينيّ جَدَّدوا المُعارضة والاحتجاجَ في مُناسبةِ الأربعين لهٰؤلاء الَّذينَ قُتِلوا في تبريز، وتَمَّ هٰذا في العشراتِ مِنَ المُدُن الإيرانيَّة، هٰذا الأمرُ أمرُ الأربعينات أخذَ يَتجدَّدُ فَفِي كُلِّ أربعين لِمجموعةٍ مِنَ القَتْلَىٰ تَخرُج المظاهرات وتقومُ الشرطةُ بِقتلِ بَعضهم وفي مُناسبةِ أربعينِهم تَتجدَّدُ المظاهرات، استمرَّ الحالُ هٰذا إلىٰ منتصف سنة 1978.
الشاه هنا بدأ يَتراجَع شيئاً فشيئاً، لأنَّ المظاهراتِ كانت قَويَّةً جِدّاً، وهُو يُلاحِظُ كُلَّما قَتلوا بعضاً من هٰؤلاء فإنَّ المظاهراتِ تتجدَّدُ في أربعينِ قَتْلِ هٰؤلاء، اتَّسعت المظاهرات في كثيرٍ مِنَ المُدُن، الأعدادُ الَّتي كانت تشتركُ في المظاهرات كانت كثيرةً جِدّاً، لم نَصِل إلىٰ مرحلةِ المظاهراتِ المليونيَّة بعد، وإنَّما مرحلةُ المظاهراتِ المليونيَّةِ تأتي بعدَ ذٰلكَ تأتي متأخِّرةً، الشاهُ بدأ يتراجَع، المُتظاهِرونَ الثُّوَّارُ حِينما يُشاهدونَ الشاه يتراجَع هُم يَزدادونَ قُوَّةً وعُنفواناً.
الحادِثةُ الَّتي حدثت بعدَ هٰذهِ الوقائع: سِينما ريكس في عبَّادان احترقت، كلامٌ كثيرٌ مَن الَّذي أحرقَ السينما، التحقيقُ لا أتحدَّثُ عن تَحقيق الحُكومةِ، إنَّما أتحدَّثُ عن التحقيقِ في الوثائقِ وكُتُب التأريخ والَّذينَ كَتَبوا وقالوا، التحقيقُ علىٰ الأقلِّ بالنِّسبة لي يُثبِتُ أنَّ السافاك كانَ وراءَ هٰذهِ العمليَّة، إنَّهم أرادوا أن يُلحِقوا التُّهمة بالخُمينيّين بأنصارِ الخُمينيّ، باعتبارِ أنَّهم أحرقوا دُوراً للسينما في طِهران وفي تبريز ولكنَّها كانت دُوْراً خالية مِنَ النَّاس، هٰذهِ السينما في عبَّادان سينما ريكس كانت مَليئةً بالنَّاس فاحترقَ

النَّاسُ الَّذينَ كانوا في صالة السينما، الَّذينَ احترقوا كانوا بالمئات، كانَ حَدَثاً مَهُولاً، لأنَّ السافاك كانَ قد أغرقَ المكان بمادّة البنزين، أغرقَ المكان قبلَ أن تُفتَحَ السينما، فحينما بدأ الاشتعال اشتعلت سريعاً ما استطاعَ النَّاس أن يخرجوا مِن السينما، وكانت الأبوابُ قد غُلِّقت، النَّاسُ كُلُّهم قالوا بأنَّ السافاك وراء الجريمة، حاولت الحُكومَةُ أن تتنصَّلَ مِن ذٰلك لكنَّ الأمرَ تَعلَّقَ في عُنُقِها، اشتدَّت المظاهراتُ بِقُوَّةٍ بعدَ هٰذهِ الحادثة وفي كُلِّ الأنحاء الإيرانِيَّة، حاولت الحُكومَةُ بِكُلِّ الطُرُق أن تُهدِّئ من الأوضاع ما استطاعت، ولِذا فإنَّ شاه إيران أيضاً أبدى تَنازُلاتٍ جديدةً؛

- أمرَ بِحَلِّ حِزبِهِ هٰذا الحزبُ الكارثيُّ، أمرَ بِحَلِّ حِزب رستاخيز، فرفعَ عن النَّاسِ أغلالاً ثقيلةً، لكنَّ هٰذا ما نَفعَ الشاه، لأنَّ الثُّوَّارَ يُريدونَ إزالَة الشاه، لا يُريدونَ مِن الشاه أن يُقَدِّم لَهُم تَنازُلات.
- ألغى العَمَلَ بالتقويم الإمبراطوري، ورَجعت إيران إلىٰ التقويم الشمسي الهِجري إلىٰ التقويم الإسلامي.
- أطلقَ سراح الكثير والكثير مِن السُجناء السياسيّين.
- جاء برئيسِ وزراء جديد؛ "جعفر إمامي"، جاء بِهِ لأنَّهُ كانَ علىٰ علاقاتٍ واسعةٍ معَ رِجال الدِّين في قُم، في طهران، في أصفهان، فأرادَ من خِلالِهِ أن يتواصلَ معَ رجال الدِّين، ولكن هٰذا لم يَكُن نافِعاً ولم يَكُن مُفيداً بالنِّسبة له.
- أعطوا الحُريَّة لنشاطاتِ الأحزاب السياسيَّةِ واعترفوا بِها بشكلٍ قانوني.
- فسحوا المجال لِحريَّةِ الصحافةِ وحُريَّة التَّعبير.
- وفي تِلكَ المُدَّةِ أيضاً عَزَلَ رئيس السافاك الَّذي كانَ مُخِيفاً، كانَ جَزَّاراً إنَّهُ نعمةُ الله نصيري، أخرجهُ مِن رئاسة السافاك، وجَعلَ للسافاك رئيساً يُعرَفُ بالاعتدال، وقَلَّل سُلطتَهم.

إنَّها قائمةٌ طويلةٌ مِنَ الأمور الَّتي فَعلَها الشاه، الروايةُ هٰكذا تقول: (**فَيُعْطَونَ مَا سَأَلُوه** - لأنَّهم كانوا يُطالبونَ بهٰذا في المرحلة الأولىٰ وفي المرحلة الثَّانية قبلَ أن تشتدَّ الأمور - **فَلَا يَقْبَلُونَهُ**)، لا يقبلون.

إلىٰ أن جاءت النُّقطةُ الحاسِمة:

النُّقطةُ الحاسِمة ما حَدثَ فيما يُعرَفُ بيومِ؛ "**الجُمُعة السَّوداء**"، في يومِ الجُمُعة السَّوداء في مَيدانٍ مَعروف من ميادين طهران "ميدان جاله"، اصطدم النَّاس مع الجيش الإيراني وحدثت مَقْتَلَة، قُتِلَ كثيرون، لا أُريدُ أن أُسَلِّطَ الضوءَ علىٰ الأعداد لأنَّ الرِّواياتِ في الكُتُبِ مُختلفةٌ جِدَّاً في عدد القَتْلى ما بينَ أعدادٍ هائلةٍ جِدَّاً وما بينَ أعدادٍ مَحدودةٍ، قُتِلَ النَّاس، لِماذا قُتِلَ النَّاس؟

هُناكَ سِلسلةٌ مِن الأحداث؛ مِن جُملة الأمورِ الَّتي فَعلَها الشاه أجازَ للإيرانِيّينَ المُتديّنينَ الخُمينيّينَ أن يُقيموا صلاة العِيد في جوٍّ مَفتوحٍ في طهران، فحضرت جُموعٌ كثيرةٌ وأُقِيمَت الصَّلاة، وبعدَ هٰذا بأيَّامٍ قلائل اجتمعَ هٰؤلاء في وسطِ طهران ورَفعوا شِعاراتٍ جديدةً علىٰ الثَّورة، هٰذهِ الشِّعاراتُ رُبَّما رَدَّدوها في (1963)، ولكنَّها ذهبت وليسَ بهٰذهِ القُوَّةِ وبهٰذهِ الأعداد الهائلةِ، أكبرُ تَجمُّعٍ بَشريٍّ مُنذُ سنة (1963)، إلىٰ سنة (1978)، وكانَ هٰذا في بداياتِ الشهر التاسع، ارتفعت الشِّعارات تُطالِبُ بزوال الشاه وزوالِ مَملكتِهِ، وتُطالِبُ بعودة الخُمينيّ وتُطالِبُ بِجمهوريَّةٍ إسلاميَّة، هٰذهِ شعاراتٌ جديدةٌ، رُبَّما كانَ يُردِّدها البعض بنحوٍ محدود، لكن بهٰذهِ السِّعة هٰذا هُوَ الَّذي أقلق الشاه، خُصوصاً أنَّ الشاهَ قد خرج في طائرةٍ هيلوكوبتر يومَ اجتمعَ النَّاسُ لصلاة العيد، ويُوجدُ في الوثائقِ مُصَوَّر وهُوَ يُصَوِّرُ الشاه في طائرة الهيلوكوبتر، وحينما رجعَ إلىٰ قصرهِ انقلبت أحوالهُ دخلَ في حالةٍ نفسيَّةٍ بائسةٍ جِدَّاً، لا يدري ماذا سيفعل وهُوَ نادِمٌ علىٰ الَّذي فعلَهُ فِيمَا مَرَّ مِنَ الأيَّامِ والسنين، يُلاحِظُ أنَّ الأمورَ بدأت تتغيَّرُ وبنحوٍ دراماتيكي سريع، بِسببِ هٰذا فإنَّ الشاه أصدرَ أمراً بفرضِ الأحكام العُرفِيَّة، وصدرَ هٰذا البيانُ المَلكيُّ مُنتَصفَ ليلِ الثامِنِ مِن أيلول [1978/9/8]، الجُمُعة هُوَ الثَّامِنُ مِن أيلول فخرجَ الخُمينيُّونَ في مُظاهرةٍ عارمةٍ في طهران وكانَ الاصطدامُ في ميدان جاله، مع القُوَّات العَسكريَّة، العَسكريُّونَ فتحوا النَّار علىٰ النَّاس وقَتَلوا ما قَتَلوا، الحاكِمُ العُرفيُّ آنذاك وهُوَ عليّ أويسي يقول: بأنَّ المُهاجمينَ الَّذينَ هاجموا الجيش كانوا يَحمِلونَ أسلحةً وهُناكَ قنَّاصةٌ، ومِن الوهلة الأولىٰ القنَّاصةُ قَتَلوا ثلاثينَ جنديَّاً، إذا صدقت روايةُ أويسي هٰذهِ لقطةٌ مِن اللَّقطات الَّتي هاجَم فِيها الثُّوَّارُ الخُمينيُّونَ جيشَ الشاه بِقُوَّة السِّلاح، وإلَّا فإنَّ الثورة في مسارها كانَ الثُّوَّارُ يَحمِلونَ سيُوفَهُم علىٰ عواتِقِهم، إنَّهُم يُشعِرونَ الحُكومَةَ بأنَّ الأمرَ سيصلُ إلىٰ السِّلاح وقد وصلَ إلىٰ السِّلاح في بعض المواضع إذا صَدَق عليّ أويسي وصدقَ غَيرهُ في بعض المُدُنِ والمُحافظات الإيرانِيَّة الأُخرىٰ، حتَّىٰ لو أنَّهم استعملوا السِّلاح فهٰذا هُوَ حَقُّهم يُدافِعونَ عن أنفُسِهم، فَقُتِلَ النَّاس، هٰذهِ المجزرةُ المَهولَةُ غُطِّيت مِن قِبَل الإعلام الغربي وتركت أثراً واضحاً وقويَّاً.

حاولَ الشاه بِقَدرِ ما يستطيع أن يُقَدِّمَ تنازُلاتٍ أُخرىٰ، ولكنَّ الأمرَ لم يَكُن نافِعاً لأنَّ الثُّوَّارَ أصرّوا علىٰ إزالتهِ، وإلَّا فإنَّهُ قَدَّمَ ما قَدَّمَ مِنَ التنازُلات..

يُمكِنني أن أقول مِن أنَّ شاه إيران مِن خِلال رَصدِي للوقائعِ والأحداث تنازلَ للثُّوَّارِ أربعَ مَرَّات:

- **المرَّةُ الأولىٰ**: بعدَ حادِثةِ المظاهراتِ الَّتي وقعت بعدَ وفاةِ مصطفىٰ الخُميني..
- **والمرَّةُ الثَّانية**: بعدَ حادثةِ سينما ريكس.
- **والمرَّةُ الثَّالثة**: بعدَ حادثةِ الجُمعة السَّوداء.
- **المرَّةُ الرابعة**: بعد أن أعلنَ الخُمينيُّ بصريح العبارةِ؛ "أنَّهُ لا مُصالَحة معَ الشاه وعلىٰ الثَّورةِ أن تَستمرّ حتَّىٰ يزولَ حُكْم الشاه".

شاهُ إيران خرجَ في خطابٍ وكانَ ضَعِيفاً جِدَّاً، شاهُ إيران شخصيَّةٌ مُتكَبِّرةٌ مُتعجرفةٌ إلىٰ أبعد الحدود، إنَّهُ يُلَقِّبُ نفسَهُ "بِمَلِك المُلُوك"، خَرجَ مُرغماً وألقىٰ خِطاباً عِبرَ التلفزيون وطلبَ مِن المسؤولين ومِن الشعب الإيراني أن لا يُلَقِّبوه بِمَلِك المُلُوك، وأزالَ رسميَّاً هٰذا اللَّقب "شاهنشاه"، قالَ لَهُم: خاطبوني بهٰذا اللَّقب مِن أنَّني مَلِكُ إيران ولَستُ مَلِكَ المُلُوك، واعتذرَ للإيرانيّينَ

عن أخطاءِ الحكومات الَّتي كانت في ظلِّ حُكمهِ وظِلِّ عَهدِه، ووعدَهُم أن يُصَحِّحَ الأخطاء، وَوَعدَهُم أن يَعملَ معَ المعارضةِ وأن يُحَقِّقَ ديمقراطيَّةً حقيقيَّةً للنَّاس، قَدَّم الكثيرَ مِنَ الوعود، وقالَ لَهُم: **"مِن أنَّني سَمِعتُ صوتَ ثَورَتِكم"**، وصلَ الصَّوتُ إليّ وإنَّني سأعملُ مَعَكُم، وأعطىٰ الأوامِرَ أن لا تُواجَه المظاهرات بالرَّصَاص..
الثُّوَّارُ عَلِموا بأنَّهم قد وصلوا إلىٰ النِّهاية فلماذا يُذعِنونَ لهٰذا الديكتاتور المُتعجرف، استمرّوا في ثورَتِهم، المظاهراتُ تزدادُ يوماً بعدَ يوم، هُنا بدأت المظاهراتُ المليونيَّة، ماذا فَعلَ الشاه؟
الشاه أطلقَ سراح السُّجناء السياسيّين الخُمينيّين الكِبار، وأصدرَ أمراً برفع الحظرِ عن المظاهرات، أصدرَ أمراً للحُكومَةِ أن لا تَعتَرِضوا المظاهرات، لكنَّ الأمرَ في الواقعِ أنَّ المظاهراتِ فرضت نفسَها، الأمورُ خرجت عن السيطرة، الحُكومَةُ لا تستطيعُ أن تُسيطرَ علىٰ شيء، وبَدَّل رئيس الوزراء، وغَيَّرَ الحُكومَة، ولكن لم يَكُن كُلُّ هٰذا نافِعاً، فإنَّ الخُمينيَّ قد أطلقها: "لا مُساومةَ ولا مُصالحة ولا تَفاوضَ معَ الشاه"، كانَ الشاه يُصِرّ علىٰ التفاوض معَ الثَّورة، لكنَّ الثَّورة وقِيادَتها رفضت ذٰلك.
الخمينيُّ في أواخرِ سنة (1978) خَرجَ من العِراق، في البدايةِ حاولَ أن يذهبَ إلىٰ الكويت لم يتمكَّن، خرجَ إلىٰ فرنسا، في مُذكَّرات الرئيس الفرنسي؛ "جيسكارديستان"، إنَّهُ أرادَ أن يفرض علىٰ الخميني أن يَجلِسَ جانباً، ألا يَقُودَ الثَّورةَ مِن البيت الَّذي كانَ يَسكُن فيه في قريةِ نوفلا شاتو الَّتي تُجاورُ باريس، إلَّا أنَّ الخُميني هٰكذا أجابَ الحُكومَة الفرنسيَّة؛ **(مِن أنَّني سأبقىٰ أنتَقِلُ مِن مَطارٍ إلىٰ مطار إذا أنتُم أمرتُم بإخراجي من باريس)**، هٰكذا يقول الرئيس الفرنسي؛ مِن أنَّ مسؤولينَ إيرانيّين اتَّصلوا بهِ لَمَّا عَلِموا بالأمر وطلبوا مِنه أن يبقىٰ في باريس لأنَّ الأُمورَ قد تَخرُجُ عن السيطرة، ولأنَّ فوضىٰ قد تَحدثُ في أوروبا مِن قِبل الإيرانيّينَ الموجودينَ هُناك، وقد حدثت واقِعةٌ فِعلاً لَمَّا سَمِعَ الإيرانِيُّونَ الموجودونَ في أوروبا وكانوا كثيرين ولا زالوا كثيرينَ في أوروبا، مِن أنَّ مُحاولةً لاغتيالِ الخُمينيّ يُمكِنُ أن تكون والخُمينيُّ ليسَ لهُ مِن حمايةٍ، ألافٌ مِن طُلَّاب الجامعاتِ مِنَ الإيرانيّين الَّذينَ كانوا يدرسونَ في الجامعات الأوروبيَّة قَدِموا إلىٰ باريس، جُموعٌ هائلة، وافترشوا الأرض في الحدائقِ والشوارعِ الَّتي تُحيطُ بالبيت الَّذي كانَ يسكنُ فيهِ الخُمينيّ، فَلِذا الحُكومَةُ الفرنسيَّةُ تركت الخُمينيَّ يفعلُ ما يُريد.
واستمرَّت الأحداثُ تترىٰ إلىٰ أن اضطرَّ شاهُ إيران أن يخرجَ خارجَ إيران، [1979/1/16] خرجَ شاهُ إيران مِن إيران واستقرَّ بعدَ ذٰلكَ في مِصر إلىٰ أن ماتَ في مِصر.
الشاهُ حاولَ قبلَ أن يَخرُجَ مِن إيران أن يُرضِيَ الثُّوَّارَ بِكُل وسيلةٍ، فقد أصدرَ أوامرهُ باعتقالِ المُفسدِين حتَّىٰ مِن العائلة المالِكة، وإن كانت العائلةُ المالِكةُ في ذٰلك الوقت قد خرجت خارجَ إيران، واعتَقَلَ مِئة شخصٍ مِن كِبار الشخصيَّات مِن بَينِهم؛ **"أمير عباس هويدا"**، في يومٍ مِن الأيَّام كانَ هويدا هٰذا كانَ حاكِم إيران الفِعلي، وكانَ هُوَ الَّذي يُشرِفُ علىٰ مُنظَّمةِ بهلوي الاقتصادية الَّتي تتحكَّمُ بِكُلِّ الاقتصاد الإيراني، الَّتي هي أملاكُ الشاه وزوجتهِ فرح، وكانَ رئيساً للوزراء، هويدا هٰذا كانَ مَلِكَ إيران بِحسَبِ باطن الأمور، اعتقلَهُ الشاه وألقىٰ به في الحبس، واعتَقل **"نعمة الله نصيري"**، الَّذي كانَ رئيساً للسافاك، واعتقلَ الكثيرينَ مِن أمثال هٰؤلاء مِن رُؤوسِ حُكمهِ، اعتقلَ مِئة شَخص، لكنَّ الأمرَ ما كانَ نافِعاً، فإنَّ الثُّوَّارَ قَرَّروا أن يَصِلوا إلىٰ النهاية، وهٰذا هُوَ الَّذي تتحدَّثُ عنهُ الرِّواية، إلىٰ أن خَرجَ فَارّاً من إيران بتأريخ: [1979/1/16].
عادَ الخُمينيُّ بعدَ ذٰلكَ إلىٰ إيران، فوصلَ إلىٰ إيران بتأريخ: [1979/2/1]، وهُوَ وصلَ إلىٰ باريس بتأريخ: [1978/10/6]، ما يَقرُب مِن أربعةِ أشهُر بَقِيَ الخُمينيُّ في باريس، بعدَ عشرةِ أيَّام انتهىٰ العَهدُ المَلكيُّ الشاهنشاهي، الَّتي يَعرِفُها الإيرانِيُّون؛ "بعشرة الفجر"، وتأسَّست بعدَ ذٰلكَ الجُمهوريَّةُ الإيرانيَّةُ الإسلاميَّة.
هٰذهِ حِكايةُ الثَّورةِ الإيرانيَّة الخُمينيَّة في خُطوطِها العامّة، الأحداثُ والوقائعُ طويلةٌ جِدّاً، إذا أردنا أن نخوضَ فِيما هُوَ خطأٌ وما هُو صوابٌ الكلامُ سيكونُ طويلاً جِدّاً، آثارُ هٰذهِ الثَّورةِ لا زالت موجودةً إلىٰ يومِنا هٰذا.
كلمةٌ أتذكَّرها لموشيه ديان في وقت الثَّورةِ كَلِمةٌ مُهِمَّةٌ جِدّاً، وكانَ موشيه ديان وزيراً للدفاع الإسرائيليّ، قالَ: **"بأنَّ ثَورة الخُميني زِلزالٌ ضَرب المنطقة** - يتحدَّثُ عن مَنطقة الشرق الأوسط - **ستصلُ تردّداتهُ إلى كُلِّ أنحاء العالَم"**، وهٰذا هُوَ الَّذي تَحقَّقَ علىٰ أرض الوقع.
أهمُّ السنوات في تأريخ العالَمِ مِن بَعدِ الحرب العالَميَّةِ الثَّانية إنَّهُ الزَّمانُ الَّذي نعيشهُ ونعيشُ كُلَّ آثارهِ وتَشقُّقاتهِ وتردّداته، أهمُّ السنوات:
(1948)؛ حِينَ تأسَّست دولةُ إسرائيل.
(1979)؛ حِينَ انتصرت الثَّورةُ الإيرانيَّةُ الخُمينيَّة وبلغت أهدافها في إسقاطِ النِّظام الشاهنشاهي.
(2003)؛ حِينَ سقطَ النِّظامُ البَعثيُّ العفلقي.
حِينَ أتحدَّثُ عن أهميَّةِ هٰذهِ السنوات ما يرتبطُ بمنطقة الشرق الأوسط، ما يرتبطُ بمنطقة الظهور، وما يرتبطُ بحركةِ المشروع المهدويّ الأعظَم..
-كَأَنِّي بِقَومٍ قَد خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَطلبُونَ الحَقَّ فَلا يُعْطَونَهُ، ثُمَّ يَطلبُونَهُ فَلا يُعطَونَه، فَإذا رَأَوا ذٰلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُم عَلَىٰ عَوَاتِقِهِم فَيُعطَونَ مَا سَأَلُوه فَلا يَقْبَلُونَهُ حَتَّىٰ يَقُومُوا - هٰذهِ الأحداث كُلُّها مَرَّت، إنَّني تتبَّعتُ التأريخَ الإيراني لم أَجِد مَرحلةً مِن مراحل التأريخ أن حدثت هٰذهِ التفاصيل، وحِينما أُدَقِّقُ في أحداثِ الثَّورةِ الإيرانيَّةِ الخُمينيَّة وإنَّني ما ذكرتُ لَكُم كُلَّ شيء بسببِ العَجلةِ في الطَرح فإنَّ الرِّواية تأتي مُنطَبِقةً تمام الانطباق علىٰ أحداثِ هٰذهِ الثَّورة - **وَلَا يَدْفَعُونَها إلَّا إلَىٰ صَاحِبِكُم** - نَحنُ في الأجواء، هٰذا هُوَ الَّذي يَهمُّنا، لا يهمُّنا هُناكَ أُناسٌ يُؤيِّدونَ إيرانَ، يُعادُونَ إيران، تِلكَ مُشكلةُ الَّذينَ يبحثونَ في هٰذهِ الاتِّجاهات، أنا أبحثُ في الاتِّجاه الَّذي يقودُني إلىٰ إمامي، لا شأنَ لي بالاتِّجاهات الأخرىٰ، إنَّها علامةٌ، وهٰذهِ العلامةُ إذا كُنتُ أعبأُ بِها، أعبأُ

بِها لأنَّها تقودُني إلىٰ إمامي ولا أبالي بالتفاصيل الأخرىٰ - **قَتْلَاهُم شُهَدَاء أَمَا أَنِّي لَوْ أَدْرَكتُ ذٰلِكَ لاسْتَبْقَيتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هَـٰذَا الأَمْر.**

هُناكَ مَساران:

- هُناكَ الـمَسارُ المشرقيُّ الَّذينَ سيقومُ أصحابهُ بِدفعِ كُلِّ ما عِندَهُم إلىٰ صاحبنا، **(وَلَا يَدْفَعُونَها إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِكُم، قَتْلَاهُم شُهَدَاء).**
- وهُناكَ مَسارُ إمامِنا الباقرِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه وهُوَ الـمَسارُ اليَمانيُّ، لا أُحَدِّثُكُم عن الـمَسار اليمانيّ لأنَّني حدَّثتُكُم عنهُ في الحلقاتِ المتقدِّمة.

بهٰذا ينتهي الجزء الثامنُ وهُوَ آخِرُ جُزءٍ من عنواننا الثالث: "العَالَمُ مِن حَولِنا"..